# ازدهار اللغة العربية رهن بتطور الوعي الإسلامي

بقلم الأستاذ عبدالحليم عباس

**المستشار الثقافي لوزارة الثقافة والاعلام ( الاردن )**

1 ــ لا اجد تلازما بين انتشار الدين الاسلامي، وانتشار اللغة العربية ، الا على مدى ضيق ومحدود، فالاقطار ــ غير العربية ــ التى دانت بالاسلام ، حافظت على لغاتها ، كما فى فارس وتركية مثلا .

2 ــ اذا كنت من الفريق الذى يناصر الرأي القائل بوجود علاقة سببية بين انتشار الاسلام واللغة العربية ، فانى ارى ذلك كما قلت فى الجواب على السؤال الاول ، ان هذا الانتشار على مدى ضيق .

3 ــ والسبب فى ذلك يعود الى ان **معجزة القرآن الكريم** ، عند الامم ــ غير العربية ــ التى تدين به ، **هي لهذه القيم الرفيعة** التى يدعو اليها ، وهذه الاخوة الانسانية الصادقة التى اعلى من شأنها ، ثم فى بساطة تعاليمه ، « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » .

4 ــ نعم ، الاحظ ، ان الوعي الاسلامى ، والوازع الدينى يقويان ويضعفان لما يعترى اللغة العربية ، من قوة او ضعف .

5 ــ ليس لى الاطلاع الكافى على مدى تأثير الفكر الاسلامى ، فى اللهجات الاقليمية للاقطار غير العربية

6 ــ المكانة التى يجب ان تحتلها اللغة العربية فى بلدى ، والتى تحتلها فعلا ، هى المكانة المثلى ، بالنسبة لغيرها من اللغات .

وانه مهما سار الاسلام فزمانه اللغة ، او القرآن فهو أبو اللغة وأمها ، فلا أرى رأيا أو وجها يفصل القرآن الذي هو الاسلام عن اللغة لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذي عوج » والمراد بالعوج هنا لغة غير العرب ، حتى اذا ترجم القرآن الى اي لغة ، فقد ذهب جماله وبهاؤه ورواؤه ، فضلا عن اعجازه وعظمته ، وعلوه ورفعته ، وانه فوق متناول الخلق جميعا ، من أن يأتوا ولو بسورة من مثله .

والامر بين الاسلام الذي هو القرآن وبين اللغة العربية أعظم وأعلى بل واشد واقوى من أن تكون له علاقة سببية ، فهما كالجسم والروح لايفترقان ابدا ولا غنى لاحد منهما عن الآخر وقد قضت مشيئة المولى الكبير أن يكون الامر كذلك .

وأما تلك الخيرة فالاليق عدم ذكرها ، لان فضل الاسلام على اللغة لا فضل اللغة على الاسلام .

هذا وكلما قوي الاسلام وانتشر ، انتشرت لغة الاسلام معه وقويت ، فانظر الى المواقع التي دخلها الاسلام من بلاد العرب الى اوائل الصين فى زمن الحجاج مع بني أمية . فقتيبة سار فى المشرق حتى بلغ الصين يفتح وينشر الاسلام . ومحمد بن القاسم كذلك فى بلاد السند والهند . وموسى بن نصير سار قبل مغرب الشمس لم يدع مدينة الا فتحها ونشر العلم والاسلام فيها ، فكانت اللغة العربية فى ذاك العهد الزاهر هي لغة العلم والدين والقرآن ، حتى كادت البشرية التي دخلت تحت راية الاسلام تترك لغاتها الاصلية الموروثة للغة الفصحى لغة أعظم كتاب دانت له البشرية « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد ».

فكنت فى ذلك العصر كما أجمع المؤرخون على ذلك لاتدخل مسجدا فى دنيا الاسلام الا ورأيت عدة حلقات للعلم وقراءة القرآن وسائر العلوم التي لها المام بلغة العرب والقرآن ولا مدرسة الا وجدتها كذلك ، حتى ولا بيتا الا وفيه من يحفظ دينه بحفظ القرآن . فلغة كان يلهج بها أكثر سكان المعمورة لاجل القرآن الذي نزل بها . لاشك أن قوة القرآن قوتها ، وضعفه ضعفها . وهذا ليس فى الزمن القديم فقط بل هو ممتد الى يومنا هذا .

فما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن فى اللهجات ؟

ان القرآن الكريم الذي نقرؤه فى سائر بلاد الاسلام ، هو مصحف عثمان الامام المكتوب بلسان قريش ولهجتها من دون سائر العرب لان العرب اجمعوا حين جمع القرآن أن يكتب ويحفظ بلسان قريش . لانه عليهم نزل وفى دارهم استقر وبلهجتهم ثبت ، وبقي الى يومنا هذا فى سائر بلاد الاسلام كما كان واستقر ، ولذلك تجد جميع لهجات المتعلمين فى سائر بلاد الاسلام واحدة. ولو اقبلت الناس على العلم لما رايت لهجة للعرب ولا فى بلاد العرب الا لهجة قريش الفصحى . لان القرآن قرىء بها وكل العلوم تبع للقرآن . ولا عبرة بلهجات العامة ، فتلك لا معول عليها .

أما أهل العلم والمعرفة فلا تؤثر فيهم اللهجة العامة ويترفعون عن أن يضعوا فى كتبهم شيئا منها لانحرافها وعدم ثباتها . ثم ان اللغة العربية ليست فى بلد من بلاد العرب أقوى منها فى بلد آخر . بل البلاء واحد ، والداء واحد .

ولقد تداعت أمم الافرنج من كل ناحية من نواحي حياتنا الدينية أو الدنيوية فأفسدت أو اضعفت كل شىء تالدا أو طريفا ومن جملة ما اضعفت ديننا ولغتنا . فوضعت بدل اللغة الموروثة العربية لغة الاجانب ، وبدل الدين واليقين ، الشك والتشكيك .